ISSN : 2543-3938 - EISSN : 2602-7771

المدن الرومانية في بلاد المغرب القديم "مدن الحضنة أنموذجا"

The Roman Cities in the Ancient Maghreb" the cities of the Hodna as a model"

د.صليحة رحلي

المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة (الجزائر) wanissa.rahli@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2023/04/23 تاريخ القبول: 2023/06/04 تاريخ النشر: 2023/06/10

ملخص:

يتمتع إقليم الحضنة بمجال جغرافي واسع وموقع استراتيجي هام جمع بين إقليمين مختلفين من حيث الخصائص الطبيعية هما: إقليم التل وإقليم الصحراء، مما أكسب المنطقة أهمية حيوية جعلتها محطة هامة لتعاقب مختلف الشعوب عبر التاريخ منها الوجود الروماني الذي خلف وراءه أثار شاهدة على تلك الفترة التاريخية، ولم يكتف الرومان باستغلال المنطقة اقتصاديا بل عسكريا كذلك من خلال تأسيس العديد من المدن عند معابر الطريق الرابط بين إقليم التل والصحراء، وكان هدف الرومان من وراء ذلك السيطرة على المناطق ذات النفع الاقتصادي المعروفة بخصوبة أراضيها، والهدف من الدراسة هو التعرف على أهم مدن إقليم الحضنة في الفترة القديمة، وكذا الدور الذي لعبته هذه المدن عند تحولها من مدن عسكرية إلى مدن اقتصادية ساهمت مساهمة كبيرة في تطور الإقليم وازدهاره خاصة من الناحية الاقتصادية، وجعلته مجالا حيويا لممارسة الأنشطة الزراعية على نطاق واسع، وبذلك شهدت منطقة الحضنة تعميرا بشريا كبيرا ساهم بقسط كبير في حركية تاريخ المنطقة في فترات تاريخية معينة

الكلمات المفتاحية: بشيلقة؛ الحضنة؛ الاحتلال الروماني؛ العمران المدني؛ طبنة.

***

Abstract:

The Hodna region enjoys a wide geographical area and an important strategic location that combined two different regions in terms of natural characteristics: the hill region and the desert region, which gave the region a vital importance that made it an important station for the succession of different people throughout history, including the Roman presence, the were not satisfied with exploiting the region economically but also militarily through the establishment of many cities in the region, and the Romans 'goal behind this was to control areas of economic benefit, known for its fertility. The aim of the study is to identify the most important cities of the region of the bosom in the ancient period, as well as the role played by these cities when they were transformed from military cities into economic cities that contributed to the development and prosperity of the region, especially from the economic point of view .and made It a vital Field for the practice of agricultural activités.

Keywords: *Bechilga; Hodna; Roman occupation; Civil urbanization; Tabna.*

I. مقدمة

شهد إقليم الحضنة عبر المراحل التاريخية التي مر بها قيام وسقوط العديد من المدن والتي كان لها دوار كبيرا في تلك الفترة، مما جعل الموجات الاستعمارية التي مرت عليه تترك بصمات واضحة المعالم من خلال الإنجازات المختلفة في مجالات عديدة خاصة في الجانب العمراني، وأهمية الموقع الاستراتيجي الذي تمتعت به الحضنة جعلها محل اهتمام من قبل الرومان من الناحية الاقتصادية والناحية العسكرية، وذلك من خلال استغلال الأراضي الزراعية في المنطقة، وهذا ما توضحه سياستهم الاقتصادية في تعزيز شبكة الري عبر جزء هام من المنشآت الموجهة لخدمة الزراعة بالمنطقة، هذه المميزات الاقتصادية والجغرافية جعلت من إقليم الحضنة أكثر تطورا وازدهارا من الناحية العمرانية أثناء فترة الاحتلال الروماني، مما أدى إلى ظهور العديد من المدن أخذت طابع عسكري في بداية تأسيسها، وبالرغم من الحيوية التي تتمتع بها الحضنة فقد عرف الإقليم أحداث تاريخية هامة لكنها بقيت أسيرة زمانها، فلم تنقلها لنا المصادر التاريخية القديمة بسخاء، بالإضافة إلى قلة الدراسات القديمة والحديثة التي تناولت تاريخ الحضنة بالدراسة والبحث، وما كتب عنها لا يكاد يذكر وقد جاء في معظمها أبحاث أجنبية تمت في مطلع القرن التاسع عشر على يد الباحثين الأثريين والضباط الفرنسيين منذ بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، ولم ينصب اهتمامهم إلا بما تعلق بتزامنه مع الآثار الرومانية في المنطقة، مما دفعني لطرح الإشكاليات التالية: ما هي الدوافع الرومانية لجعل إقليم الحضنة مجالا حيويا لبناء العديد من المدن العسكرية؟ ما هي أهم المدن الرومانية القديمة في إقليم الحضنة؟ ولمعالجة تلك المشكلات اعتمدت على المنهج التاريخي الذي يقوم على جمع المعلومات وانتقائها وهو منهج يغلب عليه الوصف وتقوم عليه كل الدراسات وقد وظفته في وصف مدن الحضنة في الفترة القديمة، كما اعتمدت على المنهج التحليلي بهدف تحليل الأحداث المختلفة.

أولا: أهم المدن الرومانية في إقليم الحضنة

هذا النوع من العمران عبارة عن مدن وقرى محصنة أسستها السلطة الرومانية في المناطق الهامة في إقليم الحضنة خاصة السهول والمنخفضات المؤدية للتلال، وكانت تحرص على أن تكون قريبة من مصادر المياه قبل كل شيء، وهذا ما جعل بعض المدن النوميدية القديمة تنمو وتزدهر وتستعيد نشاطها من جديد، كما أنشئت مدن جديدة ابتداء من القرن الثالث الميلادي، خاصة في شمال شط الحضنة الذي كان أكثر ملائمة لممارسة النشاط الزراعي بسبب وفرة المياه التي كان مصدرها الأودية، وتوفر التربة الخصبة الناتجة عن السيول التي جلبتها الأودية، أما الجهة الجنوبية من الإقليم فتميزت بقلة المراكز العمرانية المدنية بها خاصة جنوب السبخة ووادي اللحم، وعلى سفوح جبال الزيبان، وجبال أولاد نايل وهذا بسبب قلة خصوبة التربة، ونقص مردودية الأراضي الزراعية، وتتوزع هذه المراكز العمرانية في الحضنة من الشرق إلى الغرب كما يلي: طبنة، نقاوس، سيلاص، مقرة، زابي، تارمونت، ينظر: الملحق رقم01(المدن القديمة في إقليم الحضنة)

1. طبنة (Thubona)

تعتبر مدينة طبنة من أهم المدن التاريخية في بلاد المغرب عامة والحضنة خاصة، سواء في العصور القديمة أو العصور الوسطى، أهلها موقعها الاستراتيجي وأهميتها الاقتصادية والعسكرية لأن تؤدي دورا هاما

في المنطقة، وأن تكون من أهم مدن الإقليم منذ تأسيسها إلى غاية اضمحلالها، وتقع طبنة حاليا على بعد 04كلم جنوب مدينة بريكة على الطريق الوطني الرابط بين بسكرة وبريكة ومدوكال، تنتمي إداريا إلى بلدية بيطام التابعة لدائرة بريكة، والواقعة في ولاية باتنة (لقبال، 1978، صفحة 83)، لها أهمية كبيرة باعتبارها حارسة الممر الطبيعي بين السفوح الغربية للأوراس، وسهول الحضنة الشرقية (فاضل، 2009، صفحة 16)، تشرف مدينة طبنة على سهل واسع يحدها من الشرق جبل السفار، ومن الغرب شط الحضنة (أوكعور، 2018، صفحة 19)، وتتربع على مساحة كبيرة، فضلا عن الجوار العمراني المتمثل في الأحياء التي ظهرت خارج أسوارها (شنيتي، 1999، الصفحات 162-163)، تحتل آثارها هضبة واسعة واقعة بين وادي بيطام جنوبا ووادي بريكة شمالا، مما أكسبها موارد مائية هامة(Louis, 1986, p. 228) .

وتؤكد الدراسات التاريخية والأثرية التي اهتمت بدراسة تاريخ طبنة في العصور القديمة على اكتشاف العديد من النصوص الأثرية القديمة مما سمح لنا بمعرفة التسمية القديمة للمدينة (زياني، 2018، صفحة 164)، فقد ورد اسمها في النصوص اللاتينية باسم (Salina Thubonenses)، كما ذكرت في الأطلس الجزائري الأثري تحت رقم 37/10(Gsell, 1911, p. 37/10) ، ويشير الأستاذ محمد البشير شنيتي إلى أن اسمها الأصلي ثوبونا (Thobona) (شنيتي، 1999، صفحة 164) ، وهو نفس الاسم نجده عند الجغرافي بطليموس (Ptolemaeus) في جغرافيته، وذكرت مدينة طبنة أيضا في مجمع النقوش (النقيشة رقم 22535) (غانم، 1988، صفحة 07)، وذكرت فيها مدينة طبنة باسم ثوبونانسيوم (Thubunesnium)، أما في النصوص القديمة للقديس أوغسطين فقد ذكرت باسم طوبونيس (Tobunis) (جعيل، 2018، صفحة 362)، وفي رسائل القديس أوغسطين (الرسالة الثانية عشر والثالثة عشر) التي بعثها إلى بونيفاس الحاكم الروماني ذكرت باسم تيبني (Tobunes) (غانم، 1988، صفحة 07).

أما عن نشأة مدينة طبنة فلا توجد معطيات أثرية دقيقة بإمكانها أن تساعدنا على تحديد الزمن الفعلي لنشأة المدينة، ومع ذلك فإن أقدم الوثائق التي تم العثور عليها ترجع تأسيس طبنة إلى عهد الإمبراطور الروماني تراجانوس الذي حكم خلال القرن الثاني الميلادي (العقون، 2012، الصفحات 185-186)، أما عن الانتماء الإداري للمدينة فيبقى صعبا في ظل غياب الوثائق والمعلومات التي بإمكانها أن تساعدنا في ذلك، إلا أن بطليموس نسب طبنة إلى موريطانيا (Gsell, 1911, p. 37/10)، وفي القرن الخامس بعد الميلاد ورد في وثائق كنسية أن طبنة كانت تمثل مركزا لقطاع عسكري حدودي (Limes Tubunensis)، للمناطق المحيطة بها (غانم، 1988، صفحة 07)، وأدت دورا بارزا حيث كانت تمثل الحامية العسكرية الرومانية ومهمتها مراقبة ثورات السكان جنوب حصن الأوراس، ثم تحولت إلى بلدة رومانية (جعيل، 2018، صفحة 365) أثناء حكم الأباطرة السيفريين (193-235 م)، وعرفت المدينة في تلك الفترة تطورا كبيرا، وكثر سكانها، وتم التعرف على ذلك من خلال العثور على نقوش تعود إلى تلك الفترة وأن هذه النقوش التي تم العثور عليها تحمل عبارات التقدير والامتنان للأباطرة (شنيتي، 1999، صفحة 166)، ونظرا للتطور الذي عرفته طبنة ذكر جون دسبوا (Jean Despois) أن سعة السدود والخزانات التي كانت منجزة على أراضيها كانت كافية لتموين بضعة آلاف من السكان(Despois, 1953, p. 102) ، وأصبحت طبنة في عهد الأسرة السيفيرية موطنا مفضلا للسكان، حيث سكنها التجار والحرفيون ورجال الفكر ورجال الدين وأصبحت مدينة مزدهرة (شنيتي، 1999، صفحة

166)، ولم يقتصر سكان طبنة عن هذه الطبقات الاجتماعية بل أن الحاكم الروماني بونيفاس اتخذ مدينة طبنة مقرا لإقامته عندما كان الوضع السياسي في شمال إفريقيا مضطربا بسبب محاولة الوندال دخول بلاد المغرب، وكان ذلك أواخر العهد الروماني (العقون، 2012، صفحة 186)، إذ سجل أوغسطين كل الزيارات التي قام بها إلى طبنة للقاء الحاكم بونيفاس الذي كان مكلفا بحماية حدود الدولة الرومانية من هجمات المور والوندال (أوكعور، 2018، صفحة 21) .

وخلال النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي، كان جزء من القبائل الوندالية قد قطعت مملكة نوميديا ثم هاجمت المناطق التي مرت بها ولم يواجهوا أي مقاومة تذكر من قبل الجيوش الرومانية، رغم أساليب العنف التي مارسوها على سكان بلاد المغرب كالنهب والتخريب والتقتيل (العود، 2009/2010، صفحة 60)، وبذلك لم تكن طبنة بعيدة عن الهجمات الوندال، وعرفت دمارا كبيرا مثلها مثل باقي مدن الحضنة (شنيتي، 1999، صفحة 339)، وفي العهد البيزنطي تم إعادة بنائها وتعميرها من قبل القائد البيزنطي جوستنيان، وأصبحت من القلاع الكبرى، التي كان لها دورا كبيرا في الخط الدفاعي الليمس (Limes)، وبذلك شكلت حصنا منيعا لحماية حدود الدولة البيزنطية من أخطار ثورات السكان المحليين من جهة جنوب سفح جبل الأوراس، والمناطق الصحراوية وجهة الحضنة (صفر، د.ت، صفحة 307)، الأمر الذي زاد في أهميتها أثناء العهد البيزنطي حيث حصنت أسوارها وبنيت بها قلعة قوية (غانم، 1988، صفحة 08).

تتواصل الأهمية الجغرافية التي مثلها موقع طبنة في العهد الروماني والبيزنطي، والتي اعتبرت الحامية العسكرية للجهة الجنوبية للإقليم، وقد استمرت أهمية الموقع الجغرافي حتى بعد الفتح الإسلامي لها، ففي الحملة الثانية التي قام بها عقبة بن نافع الفهري على بلاد المغرب انصرف إلى إفريقية، فلما دنا من ثغر طبنة أمر أصحابه فافترقوا عنه، وأذن لهم حتى بقي في قلة (بن الحكم، 1999، صفحة 267)، ويرجع عدم قدرة عقبة بن نافع الفهري من التقدم نحو طبنة وفتحها وضمها للبلاد الإسلامية موقعها وحصانتها منذ العهد الروماني ثم البيزنطي، مما صعب على عقبة بن نافع الاقتراب من أسوارها، بدليل تموقع البيزنطيين في المدينة، كما حدث مع باقي مدن بلاد المغرب المحصنة (زياني، 2018، صفحة 169)، أما السبب الآخر الذي أشار إليه حسين مؤنس في حديثه عن حملات عقبة بن نافع الفهري في بلاد الزاب، تأكيده على خشية عقبة بن نافع من أن يفاجأ بعزله مرة أخرى، وهذا بعيدا عن محاصرة المدن المحصنة والمحروسة بقلاعها (مؤنس، د.ت، صفحة 204).

وتذكر المصادر التاريخية أن مدينة طبنة تم فتحها على يد موسى بن نصير بن عبد الرحمان بن وائل سنة (81هـ/700م)، وتعتبر شهادة ابن خياط أول إشارة ذكرت فيها مدينة طبنة في كرونولوجيا الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الأوسط من خلال الحديث عن حملات موسى بن نصير، فيقول: « قتل موسى وسبى حتى انتهى إلى طبنة وصنهاجة، وبلغ سبيهم عشرون ألف » (بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، 1985، صفحة 279)، لتصبح طبنة تحت حكم الولاة الأمويين في بلاد المغرب، وهذا ما أكده اليعقوبي عند حديثه عن طبنة حيث قال عنها:« مدينة الزاب العظمى طبنة، وهي التي ينزلها الولاة » (اليعقوبي، 2000، صفحة 190)، بعد الفتح الإسلامي ظهرت تغيرات في بلاد الزاب كان من أهمها انتقال قاعدة هذا الإقليم من أذنة إلى طبنة (طويل،

2011، صفحة 123) وكان ذلك سنة (124هـ/742م)، لتمثل طبنة القاعدة الجديدة لبلاد الزاب ككل، والتي أصبحت مقاطعة إدارية تتبع إفريقية بقاعدتها طبنة، ومدنها نقاوس، وأذنة، وبسكرة، وبذلك أصبحت لها أهمية كبيرة في الإقليم (عمارة، 2016، صفحة 12)، ومع حلول منتصف القرن الثاني الهجري تظهر مدينة طبنة على مسرح الأحداث في الإقليم، خاصة بعد تعيين محمد بن الأشعث واليا على إفريقية سنة(144هـ/762م) الذي عيّن على إقليم الزاب أمهر القادة العسكريين وهو الأغلب بن سالم الذي اتخذ من مدينة طبنة مقر إقامته، وبذلك شكلت طبنة القاعدة الدفاعية في الإقليم واجهة الأخطار الداهمة على القيروان، ومنها تنطلق الجيوش لصد هذه الأخطار (الفلالي، 2008، صفحة 88)، وبقيت مدينة طبنة مقر إقامة الأغلب بن سالم الذي تم تعيينه واليا على إفريقية بدلا من محمد بن الأشعث، وكان ذلك في سنة (148هـ/766م)، وفي عهده اشتدت ضربات الخوارج الصفرية عليه بقيادة أبي قرة الصفري، مما دفعه بالخروج إليهم بجيشه وقدم إلى الزاب(النويري، د.ت، الصفحات41-42).

وبطبيعة الحال تأثرت طبنة كعاصمة الإقليم بأبرز الأحداث التي شهدتها بلاد المغرب، والتي كانت عرضة للاضطرابات بفعل نشاط الخوارج الصفرية والإباضية، وفي سنة (150هـ/767م) (لقبال، 1978، صفحة 3) قُتل الأغلب بن سالم ليتم تعيين عمر بن حفص المهلبي المعروف بهزارمرد (النويري، د.ت، صفحة42)، والذي يبدو أنه اهتم بمدينة طبنة أكثر من سابقيه من الولاة، لقد لاحظ الخلفاء المسلمين وولاتهم على إفريقية وبلاد المغرب الأهمية الكبيرة التي اكتسبتها مدينة طبنة بعد أن احتواها الفتح الإسلامي (لقبال، قاعدة طبنة والشرعية الخلافية في بلاد المغرب الإسلامي، د.ت، صفحة 91)، فقام عمر بن حفص المهلبي بترميمها وبنائها وتحصينها بواسطة سور يحميها من غارات البدو الرحل المفاجئة (ابن خلدون، 2000، صفحة 246)، ويذكر البكري التحصينات التي حظيت بها طبنة في عهد عمر بن حفص المهلبي بقوله: «...وسورها مضروب مبني بالطوب، وبها قصر وأرباض...وسور مضروب على فحص فسيح يكون مقدار ثلثي مدينة طبنة بناه عمر بن حفص...» (البكري، د.ت، الصفحات50-51).

يبدو أن عمر بن حفص المهلبي استغل القصر البيزنطي القديم في إعادة بناء وترميم مدينة طبنة، ويقول البكري:«..وقال محمد بن يوسف أن قصر طبنة قديم أولي جليل مبني بالصخر الضخم عليه أزاج كثيرة ينزله العمال، وهو ملاحق سور المدينة من جهة القبلة، وعليه باب حديد... » (البكري، د.ت، صفحة 50)، أما عن التركيبة الاجتماعية لسكان مدينة طبنة فكانوا خليطا من العرب والعجم، وهذا ما ذكره الإدريسي بقوله:«...وأهلها أخلاط...» (الإدريسي، 1993، صفحة 164)، والحميري بقوله: «...وبها أخلاط من الناس... » (الحموي، د.ت، صفحة 387)، أما بعض المؤرخين فذكروا أسماء القبائل والأجناس التي سكنتها أمثال البكري:«...يسكنها العرب والعجم بينهم الاختلاف والحرب، ويسكن حولها بنو زفراح..» (البكري، د.ت، صفحة 50)، وابن حوقل:« وأهلها قبيلتان عرب وبرقجانة..» (ابن حوقل، 1992، صفحة 85)، وازدهرت مدينة طبنة وأصبحت لا تضاهيها مدينة ببلاد المغرب ما عدا القيروان وسجلماسة في صحراء المغرب، وهذا ما ذكره البكري بقوله:« وليس من القيروان إلى سجلماسة مدينة أكبر منها » (البكري، د.ت، صفحة 51)، وقد وصف الكثير من المؤرخين ما تميزت به طبنة من بساتين ومنتوجات زراعية، ومياه عذبة: « وهي مدينة حسن كثيرة

المياه والبساتين والزروع والقطن والحنطة والشعير... وبها صنائع وتجارات وأموال لأهلها متصرف في ضروب من التجارات، والتمر بها كثير، وكذلك سائر الفواكه» (الإدريسي، 1993، صفحة 164).

وهذه المميزات التي تميزت بها مدينة طبنة حولتها إلى قاعدة الزاب، وأثبتت دورها الاستراتيجي أثناء حدوث أزمة بين الخلافة العباسية والخوارج في إفريقية، فاعتصم بها عمر بن حفص والي إفريقية والقيروان مدة طويلة تحت حصار الخوارج وحلفائهم (لقبال، طبنة مدينة الزاب والاوراس في العصور الوسطى، 1978، صفحة 89)، واشتد الحصار على عمر بن حفص فأعمل الحيلة في الخلاف بين جماعتهم، وافترقوا وارتحلوا عن طبنة وهذا حسب ما ورد عند ابن خلدون (ابن خلدون، 2000، صفحة 147)، وبفضل صمودها ومقاومتها لتيار الخوارج تبوأت مدينة طبنة مكانة هامة، خاصة بعد وقوف سكانها إلى جانب إبراهيم بن الأغلب عامل طبنة والزاب ومساعدته في الوصول إلى ولاية القيروان وإفريقية، وتأسيس الدولة الأغلبية سنة (184هـ/800م)، فقام أمراء بني الأغلب بالاهتمام بها، وتحصينها، وحشدها بالجند لتوفير الحماية والأمن لها، وعينوا للإشراف على إدارة شؤونها مسؤولين أكفاء حتى أصبحت من أهم مراكز نفوذهم في منطقة الزاب والحضنة (بوسعيد، 2008، صفحة 03).

وبطبيعة الحال فإن مدينة بهذه الأهمية المتعددة الجوانب يرغب في كسب ولائها واحتضانها كل طامح راغب في تحقيق أهداف سياسية ومذهبية، واعتبرت من أهم المدن التي فتحت في كتامة والزاب، وأثناء حركة الشيعة الإسماعيلية كان يشرف على شؤون طبنة زيادة الله بن الأغلب ، فوقفت طبنة وحدها في مواجهة أنصار هذه الحركة وكان موقفها معاديا وصلبا وشجاعا، مستمدا من دورها التاريخي الذي أدته في القديم، فقد ثبت قائدها أبا المقارع ودافع عنها حتى النهاية ولم يضعف، إلى أن سدت في وجهه جميع المنافذ والطرق إلا طريق الاستسلام، أما طبنة فتعذر الاستيلاء عليها واقتحامها من طرف أنصار الحركة الإسماعيلية بفضل أسوارها المحمية، فقاموا بثقب أحد أبراج السور ليتسرب الجند داخل المدينة بعد أن تم السيطرة عليها (لقبال، قاعدة طبنة والشرعية الخلافية في بلاد المغرب الإسلامي، د.ت، الصفحات94-97).

إلا أنه بعد سقوط الدولة الأغلبية سنة (296هـ/909م)، وسيطرة الفاطميين على كل بلاد المغرب تراجع دور مدينة طبنة بعد بناء الفاطميين لمدينة جديدة في الزاب والحضنة وهي مدينة المحمدية (المسيلة) سنة (313هـ/926م) (النويري، د.ت، صفحة 70)، والتي سوف يتم ذكرها بالتفصيل، فتحول مركز ثقل الزاب من طبنة إلى المسيلة، وبذلك فقدت طبنة دورها كعاصمة إقليمية في المنطقة (بوسعيد، 2008، صفحة 04)، وفي القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي ونتيجة لهجرات القبائل العربية زال الأمن والاستقرار في المنطقة، وعمت الفوضى مما أدى إلى خراب العمران ببلاد المغرب عامة، وإقليم الحضنة خاصة، وغدت طبنة مسرحا للصراعات والفتن (لقبال، طبنة مدينة الزاب والاوراس في العصور الوسطى، 1978، صفحة 96)، وهنا تضاربت آراء المؤرخين حول أسباب هذا الخراب، فهناك من يرجعه إلى القبائل العربية أمثال ابن خلدون بقوله:« وعاجوا على ما هنالك من الأمصار، ثم طبنة والمسيلة فخربوها وأزعجوا ساكنيها، وعطفوا على المنازل والقرى والضياع والمدن فتركوها قاعا صفصفا أقفر بلاد الجن» (ابن خلدون، 2000، صفحة 27)، وبعضهم يعيدها إلى أوضاع المغرب أثناء حكم الزيريين والحماديين بسبب كثرة الصراعات والحروب حول مناطق النفوذ

في بلاد المغرب، بالإضافة إلى الصراع المذهبي بين السنة والشيعة(جعيل، 2018، صفحة 369)، وتمرد القبائل الزناتية.

واستمر ذكر طبنة في الكتابات التاريخية لكن بتقسيم جديد حيث تظهر مدينة طبنة كإحدى مدن الحضنة، وهذا ما ذهب إليه ابن خلدون بقوله: « وبلاد الحضنة حيث كانت طبنة ما بين الزاب والتل » (ابن خلدون، 2000، صفحة 132)، ويذكر موسى لقبال أن مدينة طبنة بقيت حتى القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي محافظة على مكانتها وهيبتها بين مدن الحضنة في نظر المعاصرين للفترة (لقبال، قاعدة طبنة والشرعية الخلافية في بلاد المغرب الإسلامي، د.ت، الصفحات 101-102)، وبذلك شكلت طبنة عبر مراحلها التاريخية سدا منيعا وحاجزا قويا أمام الأخطار الخارجية حيث حافظت هذه المدينة على مكانتها كمحرس قديم لثورات البربر، وقفت ضد التوغل الروماني والبيزنطي في المنطقة، وكانت واجهة دفاعية في العهد العباسي ضد الكيانات السياسية التي نشأت وتطورت في المغرب خاصة في عهد الدولة الأغلبية، وبذلك حافظت على مكانتها ونفوذها في بلاد الزاب.

2. نقاوس (Ngaous)

مدينة رومانية قديمة كانت تسمى(Nicivibus)، نسبة إلى مقر قبيلة كبيرة كانت تسكن المنطقة، وهي جزء من مقاطعة نوميديا، تحيط بها أسوار متينة وعتيقة (الوزان الفاسي، د.ت، صفحة 53)، تطورت في النصف الأول من القرن الرابع الميلادي، حافظت نقاوس على مكانتها لغاية الفتوحات الإسلامية (العقون، 2012، صفحة 183)، فذكرها العديد من المؤرخين العرب أمثال الإدريسي فيصفها بقوله: « مدينة صغيرة كثيرة الشجر والبساتين، وأكثر فواكها الجوز، ومنها يتجهز به إلى ما جاورها من الأقطار » (الإدريسي، 1993، صفحة 161)، وأما صاحب الاستبصار يصفها في كتابه بقوله:« مدينة كثيرة الأنهار والثمار والمزارع، كثيرة شجر الجوز، منها يحمل الجوز إلى قلعة بني حماد، وإلى بجاية وإلى أكثر تلك البلاد... » (الإستبصار، د.ت، صفحة 172)، في حين يصفها حسن الوزان قائلا: « وتوجد حول هذه البلاد سهول تصلح لزراعة القمح، سكانها أغنياء أمناء وكرماء» (الوزان الفاسي، د.ت، صفحة 53)

3. سيلاص (Cillas)

المعروفة بالخربة الزرقاء، أول محطة على الطريق الروماني بين ستيفيس (سطيف) وأوزيا (سور الغزلان) من الجهة الشرقية لإقليم الحضنة، يوجد هذا الموقع والمشتق اسمه من الأهرام أي مخازن الحبوب، بجنوبي جبال بوطالب ووادي بوجدير الذي يشكل معبرا طبيعيا بين حوض الحضنة وسهول سطيف، وبذلك تعد عاملا هاما في حركة مرور البدو بين التل والصحراء عن طريق الوادي الذي يتميز بوفرة المياه، وسهولة المسلك (شنيتي، حوض الحضنة في العهد الروماني،1995، صفحة 68)، وهي مدينة متوسطة الشأن والحجم حيث غطت أطلالها 15 هكتار فقط (العقون، 2012، صفحة 184)، توجد بها العديد من المطامير عرفت بزراعة سهولها الخصبة، وتخزين حبوبها بالشعاب المنتشرة في الجبل المجاور لها، ولقد تم العثور في موقع الخربة الزرقاء على نقيشة التي يعود تاريخها إلى سنة 243م، تبين أن سيلاص قرية محصنة بين أواخر القرن الثاني (سليماني، 2007، صفحة 111)، وهي ضمن أملاك الإمبراطورية الحاكمة في عهد قورديانوس الثالث (Gordien III) سنة 238م (شنيتي، حوض الحضنة في العهد الروماني، 1995، صفحة 68)، تم تجهيزها بسور

خوفا من هجمات البدو الرحل لما أبعد الفيلق الثالث أوغسطين في العهد البيزنطي، واعتبرت إحدى المراكز الأمامية التي أقامها البيزنطيون من أجل مراقبة الطرق المؤدية من الحضنة إلى سيتفيس (سطيف)، وظلت سيلاص تتمتع بالتطور والازدهار إلى غاية القرن الخامس الميلادي حيث ذكر أساقفتها في قائمة قرطاجة سنة 484م (سليماني، 2007، صفحة 111).

4. مقرة (Macri)

تقع مقرة في الجهة الشمالية الشرقية من حوض الحضنة، وهي تابعة إداريا لولاية المسيلة، تحيط بها مرتفعات شبكة مقرة وبوشعرة التي تنتمي إلى سلسلة جبال الحضنة، يحدها من الشمال ولاية سطيف، ومن الجنوب أولاد دراج، ومن الشرق بلعايبة، ومن الغرب برهوم، تعرف باسم ماكريس (Macris) أو ماكراس (Macras) (سليماني، ملفات أثرية بإقليم مدينة مقرة دراسة لموقعي خربة مالك، 2017، الصفحات 10-11) تقع ضمن إقليم مقاطعة موريطانيا السطايفية على وادي مقرة من الناحية الجنوبية الغربية (Despois, 1953, p. 100)، بالقرب من جبل مقرة وعلى سهل بومقر، وهي مدينة محصنة تبعد عن الخربة الزرقاء (سيلاص) بحوالي 36 كلم (سليماني، بلاد الحضنة تاريخ وأثارشاهدة على نوميديا الشرقية، 2007، صفحة 111)، وعن بشيلقة (زابي) بمسافة 46 كلم، يعود تاريخ نشأتها إلى القرن الثاني الميلادي حيث تم العثور في موقعها على نصب إهداء إلى الأمير كركلا مؤرخ سنة 197م (العقون، 2012، صفحة 184)، وترتبط مقرة بالطريق الروماني المتجه نحو مدينة أوزيا بالقرب من مقرة الحالية غرب المنطقة المعروفة بشبكة مقرة (شنيتي، حوض الحضنة في العهد الروماني، 1995، صفحة 68)، وأظهرت بعض النصوص القديمة التي تم العثور عليها في موقع ماكريس أن مقرة كانت آهلة بالسكان، ورأى فيها البعض أنها مدينة اقتصادية أكثر منها مدينة إستراتيجية على غرار كل من زابي (Zabi) وطبنة (Thubonae)، فهي تتوفر على أراضي زراعية خصبة، ومنتوجات عالية الجودة، ومردودية إنتاج كبيرة، وهذا ما أكدته لنا بعض البقايا التي تم العثور عليها في موقع مقرة لمنشآت الري الفلاحي والمنتشرة في العديد من مراكزها(سليماني، ملفات أثرية بإقليم مدينة مقرة دراسة لموقعي خربة مالك، 2017، الصفحات 11-12).

كما تم العثور بموقع مقرة على وثيقة تعود إلى سنة 484م، والخاصة بمجمع قرطاجة الديني، حيث ذكر فيها عدد كبير من الأساقفة المكريسيين مما يدل على أن مقرة كانت مقرا أمينا للأساقفة خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين، أما في الفترة البيزنطية فقد تم إنشاء عدد كبير من التحصينات والأبراج من أجل حماية الطرق الرابطة بين الحضنة وسيتفيس (سطيف) وقد استمر وجود هذه المدينة بعد الفتح الإسلامي إلى غاية النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي لما أصبحت طبنة عاصمة للزاب بعد زابي (Zabi)، وتواصل الدور الذي تقوم به مقرة، وهي حماية المنطقة وذلك عبر العديد من الأبراج التي تم وضعها بإقليم الحضنة، والتي كانت تمثل الحامية العسكرية للمنطقة (سليماني، بلاد الحضنة تاريخ وأثارشاهدة على نوميديا الشرقية، 2007، صفحة 111).

وقد ذكر اسم مقرة عند العديد من المؤرخين العرب أمثال اليعقوبي الذي جاء في مجمل الحديث عنها بقوله:«...مدينة يقال لها مقرة لها حصون كثيرة، والمدينة العظمى أهلها من بني ضبة، وبها قوم من العجم،

وحولها قوم من البربر يقال لهم كزبرة، وقوم يقال لهم سارسة» (اليعقوبي، 2000، صفحة 191)، فمقرة هي مدينة بإقليم الحضنة ويحدد ابن حوقل موقعها بين مدينتي طبنة والمسيلة، وقد جاء في هذا الصدد بقوله:« ومن طبنة إلى مقرة منزلة فيها أيضا مرصد مرحلة، ومن مقرة إلى المسيلة مرحلة» (ابن حوقل، 1992، صفحة 85) أما ياقوت الحموي فيعلي من شأنها ويجعلها مدينة المغرب كله وقد قال فيها: « مقرة مدينة المغرب في بر البربر قريبة من قلعة بني حماد بينها وبين طبنة ثمانية فراسخ » (الحموي، د.ت، صفحة 175)، وإذا كان ياقوت الحموي قد نعت مقرة بمدينة المغرب ولم يفصل في ذلك، فإن الحميري يبدو وكأنه أخذ عن اليعقوبي حيث جاء في وصفه لها ما ذهب إليه اليعقوبي من رفعه شأن المدينة وأهميتها الدينية وتحصيناتها الكثيرة والتركيبة الاجتماعية المكونة من العرب والعجم لساكنتها وفي ذلك يقول: « ومقرة المدينة العظمى وفيها منبر وعليها سور، وأهلها قوم من بني ضبة وبها قوم من العجم وحولها قوم من البربر ولها حصون كثيرة » (الحميري، 1975، صفحة 556).

وفي الفترة التي قام فيها الفاطميون بتوسيع حدود إقليم الحضنة نحو الغرب أصبحت مقرة تابعة للمسيلة، وأمست مركزا حدوديا هاما في المنطقة على طريق إفريقية، كما كانت في الفترة القديمة، ومع قدوم القبائل الهلالية تدهورت أوضاع الحضنة الاقتصادية نتيجة التخريب الذي طال مدنها، إلا أن مقرة بقيت تحتفظ بزراعتها (سليماني، ملفات أثرية بإقليم مدينة مقرة دراسة لموقعي خربة مالك، 2017، صفحة 14)، وهذا ما أكده الإدريسي بقوله: « فيها مزارع وحبوب، وأهلها يزرعون الكتان وهو عندهم كثير » (الإدريسي، 1993، صفحة 119)، وإذا كانت مقرة قد ورد ذكرها في المصادر الإسلامية بالقدر الذي يسمح لنا بمعرفة تاريخها ومكانتها ودورها بين مدن المغرب، فإنها تبقى مدينة تخفي أسرارها في الفترة القديمة نظرا لغياب المعطيات المادية خاصة الكتابات القديمة، التي تبين لنا بشكل واضح دور مقرة عبر المراحل التاريخية التي مرت بها.

5. زابي (Zabi)

تقع زابي المعروفة حاليا ببشيلقة(Bechilga) في الجهة الشمالية الغربية من شط الحضنة على بعد 3 كلم شرق مدينة المسيلة الحالية (Feraud, 1871-1872, pp. 322-323) ، وقد أشار المؤرخ البيزنطي بروكوب فيما نقلته عنه سعاد سليماني إلى أنها تقع فيما وراء مرتفعات الأوراس ببلاد موريطانيا الأولى (السطايفية) والتي كانت تشمل كل الصحراء الوسطى وتعرف بالحضنة (سليماني، الملف الأثري لموقع زابي معطيات جديدة، 2007، صفحة 55)، فهي تقع في وسط جغرافي لا يقل أهمية عن موقع طبنة بحيث كانتا تتقاسمان السيطرة على القسم الجنوبي من بلاد الحضنة، وهي تمثل الواجهة الشمالية الفاصلة بين مرتفعات بلزمة والمعاضيد والسبخة (الشط) (شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) ومقاومة المور،1999، صفحة 175)، أما البكري فقد حدد موقع زابي بالقرب من المسيلة ووصف أطلالها قائلا:« وبقبلي مدينة المسيلة موضع يعرف بالقباب، فيه قباب من بنيان الأول، وعلى مقربة منها مدينة للأول خربة يقال لها بشليقة فيها جدولان من ماء عذب جلبه الأول إليها» (البكري، د.ت، صفحة 59)، يستخلص من نص البكري أن زابي مدينة تقع شرق مدينة المسيلة وهي مدينة أنشئت في العصور القديمة

وان تسميتها ببشليقة ليست حديثة كما يعتقد، أما إشارته إلى جدولين فربما يقصد قناتي نقل مياه الشرب والري إلى المدينة من وادي القصب.

تعتبر زابي حصنا عسكريا رومانيا قديما، بني في إطار الخط الدفاعي الذي يعرف بالليمس(Limes)، والذي يربط بين السفوح الجنوبية لسلسلة جبال الأطلس التلي ليمنع زحف البدو الرحل الذين يترددون على بحيرة شط الحضنة في جزئها الغربي (سليماني، بلاد الحضنة تاريخ وأثارشاهدة على نوميديا الشرقية، 2007، صفحة 112)، وقد تم تحديد موقعها على الطريق الرابط بين أوزيا (Auzia) أي سور الغزلان وستيفيس (سطيف) (فاضل، 2009، صفحة 14) ، وقد ورد تحديد مساحة زابي في تقرير الضابط الفرنسي لويس شارل فيرو سنة 1857م والذي نشره في المجلة الإفريقية فهي تحتل حسبه مساحة قدر طولها ب1500م انطلاقا من الشرق نحو الغرب وعرضها600 م(Feraud, 1871-1872, pp. 322-323).

لقد اهتم الرومان بهذه المدينة وجلبوا إليها المياه من وادي القصب بواسطة قناة لا تزال آثارها ظاهرة إلى اليوم بشمال مدينة المسيلة، كما كانت قاعدة للجيوش الرومانية في مرحلتهم الأخيرة لينطلقوا منها للدفاع عن حدود السلطة الرومانية ويحاولوا مواجهة القبائل البربرية، بعدها الحقوا بها الخراب والدمار في السابق وهم يحاولون السيطرة على خيرات الحضنة قبل أن تسقط في يد الوندال، وفي القرن الخامس تعرضت زابي لهجمات الوندال البربرية ودمرت عن أخرها إلا أن تفاصيل الأحداث تبقي مبهمة ولم يصلنا منها إلا القليل (سليماني، الملف الأثري لموقع زابي معطيات جديدة، 2007، صفحة 57)، وقد تمكن ملوك المور من استرجاعها وظلت تحت سلطتهم حتى مجيء البيزنطيين الذين سيطروا على الأجزاء الشرقية من شمال إفريقيا، وحاولوا السيطرة على المدينة الخاضعة لحكم أمراء المور وهو ما تسبب في حروب بينهم أدت إلى سقوط أهم المدن في إقليم الحضنة بأيدي البيزنطيين، واستطاع قائد الجيش البيزنطي سولومون(Solomone) أن يسيطر على المور ويسترجع زابي ويعيد بناءها مع أهم مدن الحضنة (شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) ومقاومة المور، 1999، صفحة 179) مثل طبنة التي تقتسم حراسة حدود الحضنة معها، وفي هذه الفترة ظهر خط دفاعي حدودي مزدوج يتكون من ليمس طبوننسيس وليمس زابنسيس، وكانت زابي في تلك الفترة بلدة مركزية من موريطانيا السطايفية وبذلك كانت من أهم المنشات الدفاعية التي أقامها البيزنطيون في الجزء الشرقي من الليمس(Limes) بإقليم الحضنة لتواجدها في موقع استراتيجي هام جعل منها نقطة حدودية تحمي جنوب نوميديا ومدخل المقاطعة السطايفية (سليماني، الملف الأثري لموقع زابي معطيات جديدة، 2007، الصفحات 57-58)، أما في العهد البزنطي فقد ساهم عددكبير من القادة البزنطيين في تحصين وترميم المدن خاصة في عهد جوستنيان ونلاحظ من خلال بعض النقائش الاثرية لهذه الحصون والقلاع أن عددا كبير من المدن اصبحت تحمل اسم الامبراطور منها مدينو زابي، حيث مجد القائد البيزنطي (Solomon) إمبراطورية جوستينان الأول (Justinien) في تسمية المدينة باسم(Zabi Justinien) (عيبش، 2006/2007، صفحة 287) وكان ذلك سنة 539م وجعلوا منها قلعة محصنة، حيث تم بناء زابي في عهد الإمبراطور جوستنيان (Justinien)، الذي خصص أموالا كبيرة لإعادة بناء العديد

من المدن وتحصينها بأسوار (شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) ومقاومة المور،1999، صفحة179).

وقد ورد في تقارير الضباط الفرنسيين وصف لأنقاض مدينة زابي يجمع على أن هذه المدينة القديمة كانت تضم مباني ضخمة ولم يبق منها سوى قليل من الأحجار المنحوتة، ومخطط المدينة يتميز بشوارع متقاطعة تقوم على محورين كبيرين يشقان المدينة من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب (مضوي، 2009، صفحة 14) يذكرنا بالتخطيط السائد في معظم المدن الرومانية والذي يعرف بالمخطط الشطرنجي، أما في وقتنا الحاضر فلم يبق من آثار مدينة زابي إلا بعض الجدران التي لا تعلو على سطح الأرض وبعض الحجارة الكبيرة وأجزاء لأعمدة مع تيجان نقلت إلى المسيلة غير أنه لا يعرف مكان حفظها اليوم حسب ما جاء في تقرير الباحثة سعاد سليماني (سليماني، الملف الأثري لموقع زابي معطيات جديدة، 2007، الصفحات 61-62)، وقد أشار فيرو في وقت سابق بأن معظم أطر أبواب المنازل بمدينة المسيلة وكذلك المساجد، مزينة بحجارة منحوتة رومانية الأصل، وذكر سكان المسيلة أن هذه الحجارة جلبت من خرائب مدينة رومانية تقع شرق المسيلة تدعى بشيلقة ومن آثار هذه المدينة التي مازالت بعض أجزائها قائمة إلى اليوم تمثلت في قناة سقي الأراضي الزراعية التي أنشئت من أجل جلب مياه وادي القصب إلى زابي، ولا تزال آثار هذه القناة شاهدة على هذه المدينة (Feraud, 1871-1872, pp. 322-323).

كما عثر في المدينة على بقايا شقف الفخار وفرن لحرقه دلت حتما على وجود ورشات لصنع الفخار بالمدينة ويبدو من خلال عينات الشقوف الفخارية المتناثرة على السطح والتي زينت بعضها برسوم أن مدينة زابي بلغت مستوى حضاريا راقيا في صناعة الفخار، استغلت فيه مادة الطين التي تتكون منها الهضبتين الواقعتين على بعد 300م من الجهة الجنوبية لها، كما عثر على مجموعة من النقود اغلبها يرجع إلى الفترة الرومانية وبقايا معاصر الزيتون ومطاحن الحبوب(شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) ومقاومة المور،1999، صفحة 178)، أما من ناحية وفرة مصادر المياه بالمدينة فإن المنابع المائية تنعدم بها ذلك أنه لم يتم العثور على آثار للآبار القديمة أثناء عملية التنقيب في المنطقة الأمر الذي استدعى تعزيز المدينة بشبكة هامة من المنشآت المائية المستغلة في تزويدها بالمياه الصالحة للشرب وكذلك لسقي الأراضي الزراعية (سليماني، الملف الأثري لموقع زابي معطيات جديدة، 2007، الصفحات65-66)، وأهمها السدود التي أنشئت على وادي القصب، والقنوات الناقلة للمياه(مضوي، 2009، صفحة 10)، حيث تم العثور على بقايا سد كان يخزن الكميات التي تحتاج إليها المدينة من مياه وادي القصب والتي تتوزع على قناتين كبيرتين واحدة مخصصة لمياه الشرب وقد أمكن تتبع مسارها إلي مدخل المدينة وقد لوحظ أنها كانت مجهزة بعدة خزانات متوسطة الحجم وصهاريج لعلها وضعت لتصفية المياه من العوالق المختلفة قبل أن تصل إلي المدينة للاستهلاك، والثانية موجهة لري البساتين والحقول وتتفرع منها سواقي عديدة تتوزع في تلك الأراضي المخصصة للحدائق والمزروعات المختلفة خاصة في جنوبي زابي والمسيلة (شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) ومقاومة المور، 1999، الصفحات180-181).

لا تزال بقايا آثار هذه الشبكة موجودة على طول المسافة الفاصلة بين مربط السد على وادي القصب ومدخل المدينة من الجهة الشمالية الغربية لموقع زابي، كما تم العثور على كتابات ليبية تدل على قدم مدينة زابي، وانتمائها إلى فترة ما قبل العهد الروماني، وعليه فإقليم الحضنة كان ذو حيوية منذ فترات قديمة ولم يكن الرومان السباقين في اكتشاف هذه الحيوية وإنما استغلوا الإقليم لتكريس هيمنتهم الاقتصادية والعسكرية على الحضنة (شنيتي، حوض الحضنة في العهد الروماني، 1995، صفحة 72)، أما في العهد الإسلامي وعندما وصلت جيوش عقبة بن نافع إلى إقليم الزاب في ولايته الثانية على بلاد المغرب وجد المدينة في تلك الفترة تتمتع بمكانة سياسية هامة في الإقليم لكونها كانت مركزا لتلاقي ملوك المور، وكذلك عامرة بالروم والمسيحيين (سليماني، بلاد الحضنة تاريخ وأثارشاهدة على نوميديا الشرقية، 2007، صفحة 113) فدخلها صلحا وهو ما جنبها التهديم والخراب الناتج عن اقتحام الجيوش للمنطقة وبذلك ظلت قائمة على أسسها البيزنطية (شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) ومقاومة المور، 1999، صفحة 180)، إلا أن ابن خلدون يذكر عكس ما ذهب إليه الأستاذ محمد البشير شنيتي حيث يقول:«...ورجع عقبة إلى إفريقية سنة اثنين وستين فدخل إفريقية...وفتح حصونها مثل...وباغاية، وفتح أدنة قاعدة الزاب بعد أن قاتله ملوكها من البربر فهزمهم، وأصاب من غنائمهم...» (ابن خلدون، 2000، صفحة 237).

وفي عهد الولاة حضيت مدينة زابي بأهمية كبيرة نظرا لمكانتها الإستراتيجية والاقتصادية في الإقليم باعتبارها بوابة المغرب الأوسط، ولما تتوفر عليه من منتجات زراعية بالإضافة إلى سيطرتها على المعابر الرئيسية بين التل والصحراء، فضلا عن موقعها على الطريق (سليماني، بلاد الحضنة تاريخ وأثارشاهدة على نوميديا الشرقية، 2007، صفحة 113) الرابط بين خليج قابس وتيهرت وما وراءها وما يكتسيه من أهمية بالغة، ويبدو أن الولاة ابقوا على تحصينات زابي خاصة منها القلعة البيزنطية وتأكدوا من أهميتها العسكرية في السيطرة على الإقليم إلا أن الوضع تغير أثناء الدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب وتعرضت زابي للتهديم بسبب الصراعات المذهبية في المنطقة (شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) ومقاومة المور، 1999، صفحة 180)، بدأت مدينة زابي تفقد مكانتها في الإقليم منذ أن اتخذ الولاة مدينة طبنة عاصمة لإقليم الزاب، وقد ازداد هذا التدهور عندما قام الفاطميون بتأسيس مدينة المسيلة بالقرب من موقع زابي والتي استعملت فيها مواد البناء من خرائب زابي (سليماني، الملف الأثري لموقع زابي معطيات جديدة، 2007، صفحة 61).

6. تارمونت أو أراس (Aras)

مدينة رومانية يرجع تاريخها إلى النصف الأول من القرن الثالث الميلادي (03م) تقع على الطريق الرابط بين ستيفيس وأوزيا(Massiera, 1941, p. 273) ، وهي مدينة عسكرية تشبه في تصميمها إلى حد كبير المعسكر، وفي الأصل هي مركز عسكري روماني تتكون من عشرة حصون وأربعة أبراج (العقون، 2012، صفحة 184)، وتقع شمال الحضنة الغربية وعلى حافة سهل واسع يمتد إلى غاية وادي اللحم وشط الحضنة جنوبا، محمية بمرتفعات جبال ونوغة وتشغل مساحة واسعة على ربوة تقدر بـ 30 هكتار وترتفع على مستوى البحر بـ590م،

تعرف حاليا بتارمونت وهي تسمية بربرية معناها أرض الرمان (Despois, 1953, pp. 100-102)، ومن بين الكتابات اللاتينية التي وجدت بآراس، كتابة تبين أن إتمام إنجاز حصن آراس كان في مطلع القرن الثالث خلال حكم الإمبراطور سبتميوس سيفريوس(سليماني، بلاد الحضنة تاريخ وأثارشاهدة على نوميديا الشرقية، 2007، صفحة 113)، كما ذكر في الوثائق الدينية الثلاث لأساقفة آراس في نهاية القرن الرابع ومطلع القرن الخامس(Massiera, 1941, pp. 274-275) . ينظر: الملحق رقم02 (بقايا الآثار الرومانية لمدينة تارمونت)

تتحكم أراس في منطقة جبال ونوغة وما يليها جنوبا نحو بلاد الحضنة كما أنها تحتل سفح جبل شبه منقطع عن كتلة جبال ونوغة عند مخرج وادي "سفار" الذي يشق الجبل المذكور مشكلا معبرا طبيعيا بين جنوب وشرق أراس وبين شمالي المرتفعات التي تحمي ظهر أراس تصلها بسهول خصبة واقعة في الجهة الغربية من تلك المرتفعات (شنيتي، حوض الحضنة في العهد الروماني، 1995، صفحة 69)، كما تطل على القسم الشمالي الغربي من سهل الحضنة الفسيح، مما جعل منها منطقة جغرافية ذات حيوية متميزة من حيث خصوبة التربة ووفرة المياه (سليماني، بلاد الحضنة تاريخ وأثارشاهدة على نوميديا الشرقية، 2007، صفحة 113)، ويبدو إن الغرض من تأسيسها هو مراقبة جبال ونوغة، وربما كانت أيضا تقوم بدور الحاجز المانع لتسرب الرحل من شط الحضنة في اتجاه جبال الحضنة، ولا يستبعد أن يكون الهدف الأساسي من وراء ذلك القضاء على أية محاولة للاتحاد بين رحل الحضنة ورحل جبال البيبان وجبال البابور، التي كانت تقطن بها قبائل متمردة على السلطة الرومانية (العقون، 2012، صفحة 184)، وما ميز منطقة تارمونت وفرة المياه بدليل وجود آثار منشات الري الرومانية التي أنشئت بالمنطقة للاستفادة من مياه الأودية المجاورة التي تنبع من جبل الطرف (فاضل، 2009، صفحة 15)، واستغلالها على أحسن وجه وهذا ما يوحي باستيطان زراعي واسع ليستدل عليه من بقايا المزارع الرومانية القديمة التي مازالت إلى يومنا شاهدة على هذا الرخاء الاقتصادي.

II. خاتمة

نخلص في الأخير إلى أن إقليم الحضنة يتميز بخصائص طبيعية متنوعة جعلته محل أطماع من قبل الموجات الاستعمارية الرومانية والوندالية والبزنطية التي تعاقبت على المنطقة في العصور القديمة والتي استغلت الإقليم لتكريس هيمنتها على الشريط الحيوي الفاصل بين التل والصحراء،مما ترتب عنه ظهور عدة مدن في الحضنة والتي ازدهرت وتطورت حسب الدور الذي قامت به في تلك الفترة، كما أن البيئة الجغرافية التي تميزت بها الحضنة والتي جمعت بين التل والصحراء جعلتها مجال حيويا لممارسة الأنشطة الزراعية، وبذلك عرفت المنطقة تعميرا بشريا كبيرا ساهم بقسط كبير في حركية تاريخ بلاد المغرب في فترات تاريخية معينة، إلا أن ما كتب حول الحضنة سواء كانت نصوصا في المصادر التاريخية القديمة أو الدراسات الحديثة لم تقدم لنا الصورة الشاملة والمعمقة عن المنطقة، ولم تركز على الدور الذي أدته الحضنة في تاريخ بلاد المغرب، بالرغم أن تلك المدن التي تأسست في الإقليم لعبت دورا هاما في تاريخ المنطقة وتحولت من مدن عسكرية إلى مدن اقتصادية ازدهرت وتطورت مع الوقت، لذلك يجب الاهتمام أكثر بتاريخ المنطقة من خلال القيام بالحفريات التي بإمكانها أن تمدنا بمعلومات دقيقة عن تاريخ المنطقة خاصة في العصور القديمة.

الإحالات والمراجع:

- **المؤلفات:**

1. ابن الخياط خليفة، *تاريخ خليفة بن خياط*، (الإصدار 2)، (الرياض، دارطيبة ، 1985).
2. ابن حوقل النصيبي أبي القاسم، (، *صورة الارض*، (بيروت- لبنان، منشورات دار مكتبة الحياة ، 1992).
3. ابن خلدون عبد الرحمان، *ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر*، (المجلد 4)، (سهيل زكار، المحرر) ، (بيروت- لبنان، دار الفكر ، 2000).
4. الإدريسي محمد بن محمد، *القارةالإفريقية وجزيرة الأندلس*، (الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1993).
5. البكري عبد الله بن عبد العزيز، *المغرب في ذكر إفريقية والمغرب*، (القاهرة- مصر، دار الكتاب ، د.ت)
6. الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله، *معجم البلدان*، (المجلد 4)، (بيروت، دار صادر ، د.ت).
7. الحميري محمد بن عبد المنعم، *الروض المعطار في خبر الأقطار*، (الإصدار 1)، (إحسان عباس، المحرر)، (بيروت- لبنان، مكتبة لبنان، 1975).
8. شنيتي محمد البشير، *الجزائر في ظل الاحتلال الروماني بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) ومقاومة المور*، (المجلد 1)، (الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1999).
9. صفر أحمد، *مدينة المغرب العربي في التاريخ (عشرون قرنا من تاريخ إفريقيا من عصور ما قبل التاريخ إلى آخر العهد البيزنطي)*، (المجلد 1)، (تونس، دار النشر بوسلامة ، د.ت).
10. طويل الطاهر، *المدينة الاسلامية وتطورها في العصر الوسيط(من النصف الثاني للقرن الهجري الأول الى القرن الهجري الخامس)*، (الإصدار 1)، (الجزائر، المتصدر للشرقية الثقافية والعلمية الاسلامية ، 2011).
11. غانم محمد الصغير، *مواقع ومدن أثرية*، الجزائر، (المؤسسة الوطنية للفنون والمطبعية، 1988).
12. الفلالي عبد العزيز، *المظاهر الكبرى في عصر الولاة ببلاد المغرب والأندلس*، (الجزائر، دار هومة ، 2008).
13. مؤنس حسين، *فتح العرب للمغرب*، (مصر، مكتبة الثقافة الدينية ، د.ت)
14. النويري شهاب الدين أحمد، *نهاية الأربفي فنون الادب*، (عبد المجيد ترحيني، المحرر) بيروت- لبنان، (دار الكتب العلمية، د.ت).
15. الوزان الفاسي الحسن بن محمد، *وصف إفريقيا*، (المجلد 1)، (محمد حجي ومحمد الأخضر، المترجمون) ، (بيروت- لبنان، دار الغرب الإسلامي، د.ت).
16. اليعقوبي أحمد بن اسحاق، *البلدان*، (بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية ، 2000).

- **الأطروحات:**

17. العواد محمد الصالح، التحولات الحضارية في شمال إفريقيا في الفترة الوندالية 429-534م، (رسالة ماجستير)، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، (2009/2010)، جامعة منتوري، قسنطينة.
18. عيبش يوسف، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لبلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي، (أطروحة دكتوراه)، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، (2006/2007)، جامعة منتوري، قسنطينة.

- **المقالات:**

19. أوكعور عبد الحكيم، (2018)، طبنة عبر التاريخ الشواهد الأثرية والابحاث العلمية، *الدراسات الاثرية*، *16* (01) ، الصفحات(19-40).
20. بوسعيد الطيب، دور علماء طبنة في العصور الإسلامية الوسطى، *الواحات للبحوث والدراسات* (3) ، (2008)، الصفحات(01-12).
21. جعيل أسامة الطيب، طبنة حاضرة إقليم الزاب والمغرب عبر العصور دراسة تاريخية، *قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية*، *2* (2)، (2018)، الصفحات(358-377).
22. زياني الصادق، أضواء جديدة على طبنة الزاب فصول في تاريخ المسالك وتخطيط العمران- من تمام الفتح الاسلامي الى القرن الهجري الخامس، *الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية*، *5* (2)، (2018)، الصفحات(163-179).
23. سليماني سعاد، الملف الأثري لموقع زابي معطيات جديدة. *الآثار*، *11* (1)، (2007)، الصفحات(55-69).
24. سليماني سعاد، بلاد الحضنة تاريخ وأثارشاهدة على نوميديا الشرقية، *الثقافة*، (16)، (2007)، الصفحات(108-117).
25. سليماني سعاد، ملفات أثرية بإقليم مدينة مقرة دراسة لموقعي خربة مالك، *دراسات*، *5* (9)، (2017)، الصفحات(09-25).
26. العقون أم الخير، الموقع الاستراتيجي لمنطقة الحضنة في التاريخ القديم، *دراسات انسانية واجتماعية* (عدد خاص)، (2012)، الصفحات(173-197).
27. علاوة عمارة، التحولات المجالية والطبونيمية لبلاد الزاب من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، *تراث الزيبان*، (1)، (2016)، الصفحات(13-23).
28. لقبال موسى، طبنة مدينة الزاب والاوراس في العصور الوسطى، *الأصالة*، (61-60)، (1978)، الصفحات(43-54).
29. لقبال موسى، قاعدة طبنة والشرعية الخلافية في بلاد المغرب الإسلامي، *حوليات*، *5* (1)، (د.ت)، الصفحات(91-102).

- **المداخلات:**

30. مضوي خالدية، تاريخ مدينة المسيلة إبانالاحتلال الروماني، *دفاتر الملتقى*، (2009)، جامعة محمد بوضياف، *المسيلة*.
31. فاضل لخضر، المنشأت الرومانية والبزنطية بمنطقة الحضنة، *دفاتر الملتقى* ، (2009)، جامعة محمد بوضياف، *المسيلة*.

32. شنيتي محمد البشير، حوض الحضنة في العهد الروماني، *أعمال الملتقى الوطني الثالث للبحث الأثري والدراسات التاريخية* ، (1995)، *جامعة الجزائر 2، الجزائر* .

- **المراجع الأجنبية:**

33. Despois, J. (1953). *Le Hodna*. Paris: Presses universitaires de France.
34. Feraud, C. (1871-1872). *Histoire des villes de la province de Constantine, Sétif Bordj –Bou-Arreridj –M'sila et Bousaada »* . Constantine: Recueil des Notices et Memoires de la societe archeologique de la province de Constantine .
35. Gsell, s. (1911). *Atlas archeologique de l'Algerie* (Vol. 3). paris.
36. Louis, p. (1986). *ambuzat l'évolution des cités du tell en Ifrikiyyau VII au XI siécle, Alger*. Alger: office de publication Universitaire.
37. Massiera, P. (1941). *M'sila du Xe au XVe siècle* . Setif: Bulletin de la societe historique et geographique de la region.

الملاحق:

الملحق رقم 01: المدن القديمة في إقليم الحضنة(Despois, 1953, p. 101) .

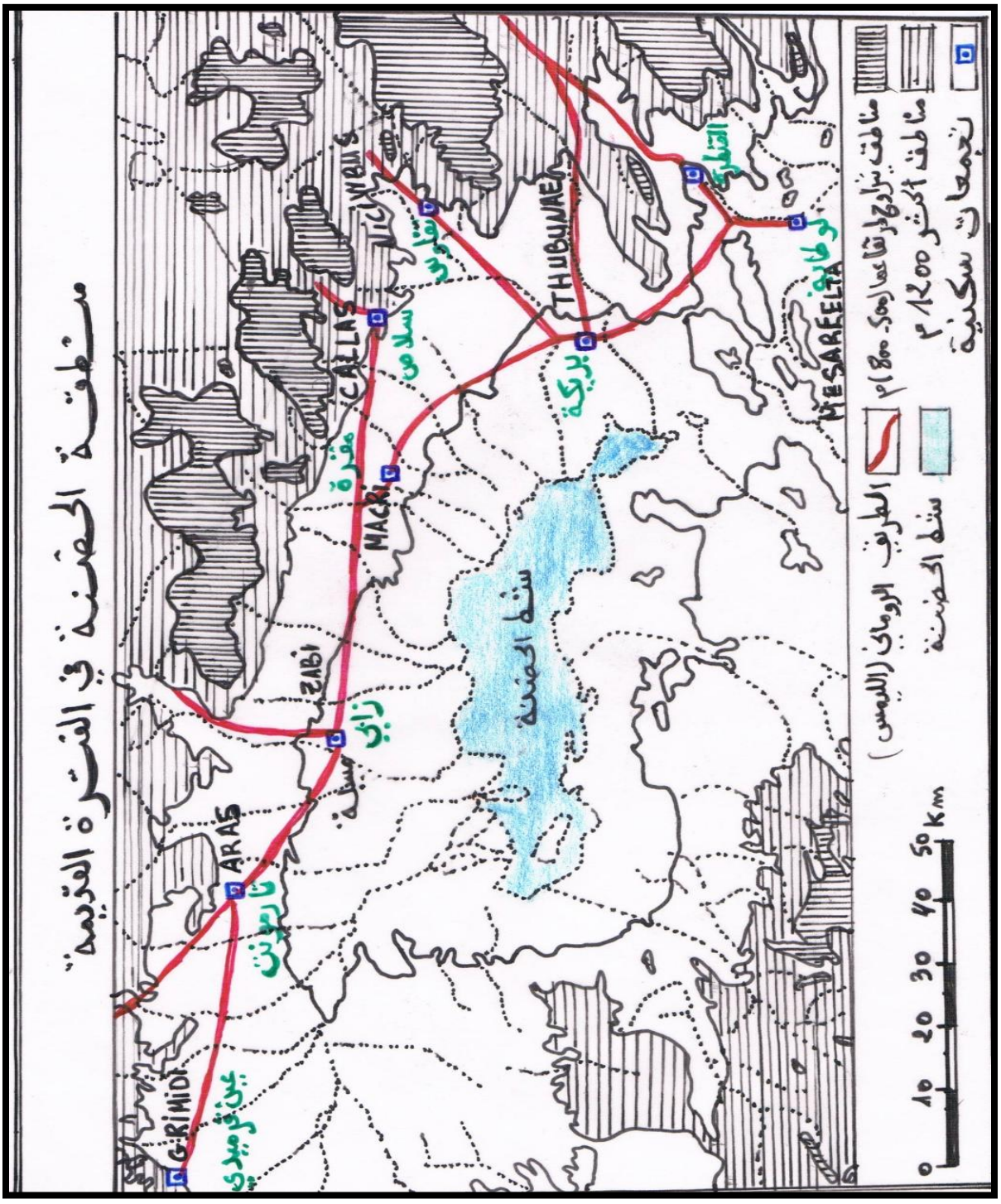

الملحق رقم 02: بقايا الآثار الرومانية لمدينة تارمونت (أراس)صورة التقطت يوم:2018/09/010م).